

"مساويل " على مقهى السياسة!!؟.



الخميس 7 أغسطس 2014 12:08 م

بقلم : السعيد الخميسي .

وكما تأوي الطيور إلى أعشاشها حين تكشف الشمس ظهرا , وتعرف بفطرتها أن ثمة شذوذا قد حدث , وأن الغروب لازال بعيدا ويكون لهذا الشعاع الضئيل الباقي مصدر أمل لعودة سريعة لنور الحياة , وتظل تنتظر ولا تنام ولا ترقد ولا يغمض لها جفن , فكذا الأحرار في كل وطن والشرفاء في كل بلد والثوار في كل مكان يدركون ويعلمون أن إقصاء وتنحية واعتقال وسجن كل من ينادى بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان لأبناء وطنه وأفراد شعبه هو بالفعل أمر غريب شاذ , ولكنه ليس الغروب النهائي لشمس الحرية . وإنما هو حدث طارئ عارض , وأن شروق شمس الحرية ويزدوع شعاع الديمقراطية هو الحدث الطبيعي الذي يجب أن تستمع به الشعوب وتحيا به حياة طبيعية حتى تنمو الحياة وتزدهر ولا تتجمد عند نقطة لاتتقدم عنها ولا تتأخر .

*إن الأرض تفسد والحياة تأسن والقيادات تتعفن إذا دارت الأوطان حول نقطة ارتكاز واحدة , ألا وهى فكرة الزعيم الأوحد الملهم والنظام السياسي الذي لايتأهيه الباطل من بين يديه . النظام الذي إذا قال أسمع , وإذا صمت فكر , وإذا عاقب أوجع . وإذا عفي فقد تفضل . إن تلك الفكرة نكبة قاصمة للظهور وتقف حائلا دون خروج البلاد إلى النور إن الشعوب التي استلهمت تلك الفكرة وطافت حول كعبتها , وقدست مكوناتها سقطت في بئر النهاية والذل والهوان فالاتحاد السوفيتي سقط في العام 1991 رغم ماكان يملكه من ترسانة عسكرية قادرة على تدمير العالم فى دقائق معدودة غير أن النظام الماركسي قطع الألسنة وصادر الحريات وملأ السجون والمعتقلات وأعطى جميع المنابر الإعلامية لبوق واحد فلاصوت يعلو فوق صوت الماركسية والزعيم الأوحد وحاشية الزعيم وكل محبي الزعيم .

* وكما أن هناك مساويل يجلسون على المقاهي , فإن هناك مساويل يجلسون على مقهى السياسة . يظنون ظن السوء أن الحرية رفس من عمل الشيطان . والديمقراطية خرافات يبتدعها الإنسان , وحقوق الإنسان ماهى إلا خرافات وخزعبلات من وهم الواهمين لذا ترى هؤلاء المساويل يبذلون كل غال ورخيص لكتم الأنفاس , ومصادرة حق الناس حتى تصاب الشعوب بالفقر والإفلاس . والمقصود هنا ليس الإفلاس المادي فقط بقدر ماهو إفلاس ثقافي وفكري وديني وسياسي ومادي . تراهم يجرفون أرض الوطن من كل الكفاءات ويقرّبون إليهم كل النفايات , حتى يجرفوا الأرض ويجعلوها جرداء لانبت فيها ولاماء . ومن هنا تكثر الغربان على أطلال الوطن ويسهل تحويل البلاد إلى خرابه . الكل يبحث عن الكأ والماء , ولادخل لأحد بالشأن العام لأن البطون الفارغة لاتبحث إلا عن الطعام والشراب وما يسد رمقها .

* إن رسالة الإسلام في الأصل جاءت هدمًا لصرح الجاهلية الأولى وليست ترميما له أو ترقيعا لثوبه الأسود . رسالة الإسلام فى أصلها وجوهرها رسالة حرية للبشرية المعذبة المستعبدة المضطهدة . رسالة تحرير لها من قيود العبودية للبشر وماكان لبشر أن يستعبد بشرا بعد هذا اليوم . يوم أن أشرقت شمس الإسلام فى كل ربوع الأرض . لكن يبدو أن " مساويل " السياسة مازالوا نائمين فى كهف الجاهلية المظلم . ويعتبرون أن الشعوب مازالت غير قادرة على تحمل أعباء الحرية والديمقراطية . لأن من وجهة نظرهم , فإن الشعب لم يبلغ سن الرشد ولابد أن يكون هناك أوصياء عليه حتى يكبر ويبلغ سن الرشد . ولامانع عندهم من حجز الشعب فى " دار الأيتام " حتى يجدوا له أبا يتولى أمره وشأنه!!؟. وهذا المفهوم هو الثقافة التي تتغذى عليها النظم الاستبدادية وتحاول أن تروج لها فى أوطانها .

* والحق أقول أن أول من أطلق مصطلح " المساويل " هو الراحل الدكتور مصطفى محمود رحمه الله . فهو صاحب حق براءة هذا الاختراع . لقد قال رحمه الله : " إنما المساويل حقا وأهل الغفلة هم الذين يعيشون في خدر الأوهام الباطلة هؤلاء هم الذين يعيشون في خدر الأفيون . هؤلاء هم الذين خدرتهم أطماعهم وأهواؤهم وشهواتهم . وهؤلاء هم الذين أعتمتهم أطماعهم وأضغاثهم , فتصوروا أنه لوجود لأي شئ وراء هذه الأحقاد والأطماع . حسبهم لحظتهم فليعيشوها أو فليسرقوها ثم لايعبأوا بعد ذلك بشئ . وتلك طمأنينة الغفلة وراحة الأفيون وسكينة أكلي المخدرات . وتلك هي حبوب الهيروين التي يروجونها " . لقد قال ذلك رحمه الله فى معرض

الحديث عن النظم الاستبدادية القمعية التي أفقرت شعوبها ودفست رؤوسهم فى وحل الفقر إلى يوم القيامة .

*إن شعوبا ودولا كثيرة صعدت إلى سطح القمر واخترعت صواريخ عابرة للقارات كما اخترعت قنابل نووية بل واستخدمت الطاقة النووية السلمية لتوليد الكهرباء ولعلاج الأمراض المستعصية . إن تلك الأنظمة السياسية لم تكن لتحقيق تلك النجاحات بقهر وقتل وسجن مواطنيها لخلافها معهم فى الرأي والحجة . بل احترمت الإنسان وعظمت من شأنه وأعلنت من قدره ومنحته حرية الإبداع والتفكير للتقدم والرقى فى شتى مجالات الحياة سياسيا واقتصاديا وعلميا وتعليميا وخلقيا . يوم أن اتجهت بلادنا لبناء سجون ومعتقلات جديدة لاستقبال دفعات جديدة من معارضة الأنظمة الحاكمة بدلا من من بناء مدارس ومستشفيات لعلاج المرضى , هو ذات اليوم الذي وقعت فيه تلك السلطات الحاكمة على شهادة وفاة الوطن اقتصاديا وسياسيا وتكنولوجيا . ويوم أن ارتقى أهل الثقة بدلا من أهل الخبرة إلى المناصب العليا للوطن , يوم أن أصابت بلادي جرثومة التخلف فى مقتل . فالأوطان تتقدم بالعلم والتخطيط لا بالطليل والزمير والرقص البلدي .

* إن مساطيل السياسة الذين يجلسون على المقهى فى غيبوبة دائمة لايفيقون منها أبدا , لذا فهم يخشون أن تشرق شمس الحرية على الوطن خشية أن يفيق الناس فيحاسبونهم على ما هم فيه من غي وضلال . الحرية التي تتقدم بها الشعوب هى أن تقول كلمتك فى وجه السلطة بلا خوف أو تردد وأن تعبر عن رأيك فى وجه الاستبداد دون خوف من سجن أو اعتقال . إن الحرية ليست أن تأكل وتشرب وتتنفس فقط . فهذه هى حرية الحيوانات التي تأكل وتشرب وتتنفس وتزواج وتنجب . فهل هذه الحيوانات حرة فى حياتها ؟.. أم أنها ملك لأصحابها يسوقونها حيث يريدون . إن حريتنا التي وهبها لنا خالقنا عز وجل هى النبض الذي يدق فى صدورنا , والدم الذي يسرى فى عروقنا , والعطر الذي نستنشق عييره كل صباح ومساء . . ويوم أن يصادروا حريتنا , يوم أن يقتلوننا بدم بارد ولا خير فى وطن يقتل أبناءه بدم بارد مع سبق الإصرار والترصد . فهل سيفيق يوما ما " مساطيل السياسة؟ " . أم أن الجرعة التي يتجرعونها أثقلت رؤوسهم وذهبت بعقولهم ؟!